The Quarterly Journal of Lesān-E Mobeen
(*Research in Arabic Literature***)**
Print ISSN: 2355-8002
Online ISSN: 2676-3516
Article Type: Research
Vol. 12, New Series, No.44,Summer 2021

Analysis of Spatial Alienation in Al-Kafira Novel by Ali Badr Based on Melvin Simon's Theory

Zeinab Jafarnejad,
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, EIILM University, Iran, jafarnejadzeinab@gmail.com
Hassan Majidi*
Associate Professor of Arabic Language and Literature Hakim Sabzevari University Sabzevar, Iran, H.majedi@hsu.ac.ir
Mostafa Mahdavi Ara
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Hakim Sabzevari University, Iran. m.mahdavi@hsu.ac.ir
Hojjatalah Fesanghari
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Hakim Sabzevari University, Iran, dr.fesanghari@gmail.com

Received on:15/06/2020 Accepted on: 07/10/2020
DOI:10.30479/lm.2020.13486.3051
© Imam Khomeini International University. All rights reserved.

Abstract

Melvin Seeman is a sociologist who has been instrumental in analyzing the problem of alienation from a social point of view and has given it particular dimensions and challenges in view of the importance of alienation, a phenomenon that has long been associated with humanity and in the age of globalization, It has deeply and profoundly added itself to literature because literature is the mirror of societies. Since the novel is the embodiment of the human response to this worldview, it is the most open way to understand its problems and reality. However, this phenomenon is still complex and requires further studies. This research, based on a social approach, seeks to elaborate on Al-Kafra's novel analysis of Seeman's theory and the most important aspects of alienation in it, especially the hero, is to say that the problem of alienation is clearly evident in the novel and their behavior, how they deal with the problems of decision-making. Their alienation is apparent, and this is not unique to Sophia in Iraq, and even Adrian, who grew up in Lebanon and has fled to Belgium, is suffering from the problem. Furthermore, Adrian's alienation is nonsense and isolationism, and Sophia's alienation is powerless**.** This research has two theoretical and comparative axes in the theoretical axis, the nature of alienation and its types, in general, and in practical terms, on the social view. It focuses on the sense of powerlessness, meaninglessness, meaninglessness, self-loathing of the main characters and sub-characters of Al-Kaera's novel.

Keywords: Spatial Alienation, Al-Kafira, Ali Badr, Melvin Simon

فصليّة لسان مبين العلمية (بحوث في اللغة العربية و آدابها)
مقالة محكمة،السنة الثانية عشرة، الدورة الجديدة، العدد الرابع والأربعون، صيف ١٤٠٠ ،ص٧١-٨٦

دراسة الاغتراب المكاني في رواية "الكافرة" لعلي بدر على أساس نظرية "مِلفين سيمون"*

زينب جعفرنژاد، خريجة دكتوراه،قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة الحكيم السبزواري.
حسن مجيدي، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة الحكيم السبزواري.
مصطفى مهدويآرا، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة الحكيم السبزواري.
حجت الله فسنقري، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة الحكيم السبزواري.

الملخّص

يعدّ ملفين سيمون عالم اجتماع لعب دورًا رئيسًا في تحليل إشكالية الاغتراب عن النهج الاجتماعيّ وأعطاه أبعادًا معينة؛ نظراً لأهميّة ظاهرة الاغتراب كظاهرة ظلّت ملازمة للإنسان منذ فترة طويلة، وزادت حدّتها وتوغّلها في عصر العولمة، إذ فرض نفسها على الأدب باعتبار الأدب مرآة عاكسة للمجتمعات، ولأن الرواية هي تجسيد لاستجابة إنسانية لرؤية العالم وعلى أنّ هذه الظاهرة ما زالت معقدة وتحتاج إلى مزيد من الدراسات، فقام هذا البحث بدراسة رواية "الكافرة" لعلي بدر وتحليل أهمّ مظاهر الاغتراب فيها على أساس المنهج الوصفيّ-التحليليّ. وقد أسفرت النتائج عن أنّ قضية الاغتراب ومظاهرها يعني الشعور بالعجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعيّة، والكراهية الذاتية واضحة في سلوك شخصيات الرواية وطريقة تعاملهم مع المشاكل وطريقة اتخاذ قراراتهم وهذا ليس فريدًا بالنسبة إلى صوفيا، بطلة القصة وأسرتها الّتي تسكن العراق، بل أن أدريان الذي نشأ في لبنان ولجأ إلى بلجيكا هو يعاني من هذه المشكلة أيضا؛ ويمكن اعتبار اغتراب أدريان من نوع اللامعنى والشعور بالعزلة الاجتماعية وأما اغتراب صوفيا فهو العجز.

كلمات مفتاحيّة: الاغتراب المكانيّ، الكافرة، على بدر، ملفين سيمن.

---

* - تاريخ الوصول: ١٣٩٩/٠٣/٢٦ تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٧/١٦
- عنوان البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: *H.majedi@hsu.ac.ir*
- المعرف الرقمي(DOI): 10.30479/lm.2020.13486.3051

١. المقدّمة

إنّ الاغتراب هو مصطلح شائع في شتّى العلوم الإنسانية وبمدلولات عديدة، ومن الظواهر التي صاحبت الإنسان في كلّ العصور. فهذه ظاهرة قد اهتمّ بها العديد من الفلاسفة والمنظرين كـهيجل ودوركهايم وملفين سيمون وفكّروا فيها؛ ما أسهم في استجلاء مفهوم الاغتراب بكلّ دلالاته. ففي تعريف موجز: الاغتراب يعني كون الفرد أسفل من حقيقته و«إن المغترب عن ذاته لا يعرف ذاته الحقيقية وليس لديه هدف ورؤية معينة» (حسن، إبراهيم، ٢٠٠٧: ٤١)، وبالنسبة لإحساسات المغترب عن الذّات يمكن الإشارة إلى: الهواجس، والارتباك، والشعور بالضياع، واليأس، والعزلة الاجتماعيّة، والميل إلى العنف، والعداوة مع المجتمع وثقافته السائدة (محمد، ١٩٩٩: ٧).

فأكد "ملفين سيمن"[١] أهميّة قضية الاغتراب خلال دراساته ويشرحها عبر مراحله الخمس وسنتعرضّ لها بالتفصيل في مكانها المناسب. وجاء الاغتراب [٢] بمعنى عزل الإنسان عن نفسه ومجتمعه ويمثّل تعبيرا إنسانيّاً عن معاناة وجوديّة ذات أبعاد نفسيّة واجتماعيّة (رجب، ١٩٩٣: ٩). ومن هذا المنطلق بإمكاننا القول بأنّ اغتراب الذات مدلوله الابتعاد عن الأصل، ابتعاداً يجعل الفرد منطوياً على نفسه وبعيداً عن المجتمع. غير أنّ مفهومه، في العصر الراهن ظهر بشكل جديد وكشف عن نقابه، بحيث حذّر علماء الاجتماع من هذه الظاهرة.

ولايخفى على أحد أن في السّنوات الأخيرة يعاني بعض المجتمعات العربيّة وخاصة العراق، من ظاهرة التطرّف والعنف بعد ظهور الإرهاب. إذ إن العنف والإرهاب والتطرف كله تزعزع الاستقرار والأمن في المجتمع. الكافرة رواية عراقية كتبه الكاتب العراقيّ المعاصر علي بدر، حيث تمّثل جزءًا من التّطوّرات السّياسيّة والاجتماعيّة المعاصرة في العراق. وإن المضمون الرئيس لهذه الرواية هو الحرب وانعدام الأمن ولكن الأبعد من ذلك، هي القضايا الإنسانيّة الأساسيّة بما فيها الانتحار، والخيانة، والاغتصاب، والاغتراب، والفوضى والتطرّف، وعدم المساواة بين الجنسين.

وقامت الدراسة عبر المنهج الوصفي-التحليلي بمعالجة قضيّة الاغتراب في رواية «الكافرة» مستمّدةً من آراء ملفين سيمن وأفكاره. ويُجيب البحث عن السؤال التالي:

كيف يمكن تقييم مسألة الاغتراب عن الشخصيات الرئيسة في رواية "الكافرة" على أساس نظرية مِلفين سيمن؟

١-١. خلفيّة البحث

إن ظاهرة الاغتراب ليست وليدة هذا العصر؛ إذ قد سادت هذه الظاهرة لتخرج من نطاق الحالات الفرديّة وتصبح إحدى السّمات المميّزة للعصر الحالي رغم اختلاف المجتمعات مع بعضها البعض وأما من أبرز الدّراسات الّتي تناولت قضية الاغتراب في الشعر العربي فهي: ١- «الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر»، لجعفر راضي محمد، وتعرض في الفصل الأول لأنماط الاغتراب لدى الشعراء العراقيين الروّاد والعودة إلى الطفولة، واستعادة الماضي وفي الفصل الثاني، تطرق إلى البنية اللّغوية والتصويريّة لشعر الاغتراب عند هؤلاء الشعراء. واستنتج أنّ اغتراب البياتي والسياب والحيدري ونازك الملائكة، ليس من النوع المكاني لأن هؤلاء الشعراء تعرّضوا له داخل الوطن المحتلّ؛ فذلك مرتبط بالاستعمار ارتباطاً وثيقاً. كما أنّ المؤسسة السياسية القائمة آنذاك قد ربطت العراق بعجلة الاستعمار، وصادرت الحريات العامة والشخصية، وأفقرت الشعب، كما اتّسم الوضع الاجتماعي بسيادة القوى المحافظة، وجمود التقاليد. وكان على الشاعر أن يدخل معركة الحرية والتقدم ضد القوى والمؤسسات الحاكمة والمتنفذة. ٢- «الغربة في الشعر الجاهلي» لعبدالرزاق الخشروم، حيث تناول المؤلف الغربة والاغتراب في المجتمع الجاهلي، وتعرّض للعوامل الغربة، ثم قام بدراسة الغربة في شعر عنترة، والشنفرى، وختاما تطرّق إلى الحنين إلى الماضي، ويعتبر هذا من أهمّ المصادر التي

تناولت قضية الاغتراب والصّعلوك في المجتمع القبليّ الجاهلي. فأكثر ما اهتمّ به الكاتب في هذا المضمار هو دراسة الغربة لا على ضوء التنظيرات السوسيولوجية الجديدة، بل على هيئته التقليدية وتسليط الضوء على بواعث الغربة فهي نشأت عند الشاعر إما بدافع القهر وإما بدوافع الذات. ٣- مقال «موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي»، لرسول بلاوي وآخرين، ٢٠١٢م. وفي هذه الدراسة يتّضح لنا الاغتراب كالموتيفات في شعر السماوي والاغتراب هو الذي ينقلنا إلى أجواء الشاعر النفسية وينطوي على محاور تعود إلى إحساسه بالغربة، وأهمّها الحزن والموت والمرأة والحنين، وبعض الرموز التي تدّل على الغربة كالطيور المهاجرة والحمامة والبحر والريح. ويبدو أنّ ما يبديه الأديب السماوي من الغربة والحنين في شعره يختلف اختلافاً تاماً مع ما يعيشه علي بدر في روايته إذ أنّ الاغتراب لدى الشاعر منبعث عن هجرته إلى أستراليا توّا لكنه في حياة بطلة رواية الكافرة، فهي حصلت فراراً من الإرهاب والظروف المأساوية. ٤- «علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد»، لأنور عبد الحميد الموسي، وزعت مواد الكتاب على سبعة فصول. وتطرق المؤلف إلى كشف ماهيّة علم الاجتماع الأدبي، على مرّ العصور، وصولاً إلى الأزمنة الحديثة، مع تناول أشهر الاتّجاهات في الدراسات السوسيو- أدبية بدراسة مستفيضة. فيعدّ الكتاب من أهمّ المصادر التي تخدم الباحثين في دراسة جدلية العلم والأدب خاصةً علم الاجتماع متمسكة بمنهج أشهر العلماء الاجتماعيين من مثل لوكاش وغولدماين واسكاربيت وغيرهم. ٥- مقالة «اغتراب الشخصية في رواية عرش معشق لربيعة جلطى» لنجمة زمالي طبع في مجلة: كلية الآداب و اللغات - كلية الآداب - جامعة بسكرة » جانفي ٢٠١٨، ودرست الباحثة الاغتراب وأبعاده الاجتماعيّة والنّفسيّة والعاطفيّة والمكانيّة و الفكريّة وتصوّر اغتراب الشخصيّة عن المجتمع و عدم قدرة الشخصية المغتربة فكريا الاندماج النفسي أو الفكري مع القيم الرائجة في المجتمع. وقد تطرقت الباحثة في جزء من الدراسة إلى الاغتراب المكاني غير أنّ المكان في منظورها ليس المكان الجغرافي-كما هو في منظورنا لهذا المقال- بل هو عملية الإنتقال من رحم الأم إلى هذه الدنيا (المكان المجهول) والمولود فيها مغترب مكاناً. ٦-مقال «أبعاد التعلق المكاني في رواية "سويسرا والوطن والمنفى" (سويسرا الوطن والمنفى) لسناء أبوشرار للباحثة نسرين كاظم زاده؛ وكبرى روشنفكر؛ وفرامرز ميرزائي، (١٣٩٨هـ.ش)، مجلة لسان مبين؛ إنّ التعلّق بالمكان في هذه الرّواية ليس من أثر الهجرة والغربة بل يتكوّن من أبعاد ماديّة واجتماعية وفرديّة وزمنيّة، ومن وجود الأشخاص في مكانهم خلال مراحل من التواجد المادي إلى الالتزام الكامل بالمكان على المدى الطويل يؤدّي إلى التعلق.

وفي مجال الرواية المدروسة وخصوصا على بدر ألفت أثار متبعثرة أمثال: ٧-رسالة "الوثيقة والتخيّل التاريخي في روايات علي بدر في سنة ٢٠١٤م "لرنا فرمان محمد الربيعي مع إشراف " أ.م.د ناهضة ستار ". وتطرّقت الكاتبة في هذا البحث الي الروائي علي بدر. فقد أسفر البحث عن أنّ الوثيقة والتخييل التاريخي في بناء الخطاب مضادٌ للتاريخ كما تمّ رصد التقنّيات السّرديّة الجديدة التي استعملها الروائي في مجمل نصوصه الروائية. فممّا يميّز هذا البحث هو أن هذه الرواية غير مدروسة في إيران ولايتمّ تحليله من وجهة النظر الاجتماعيّة ولا من حيث مقولة الاغتراب.

٢.الأسس النظرية للبحث

قدظهر الاغتراب في النّصوص السوسيولوجيّة القديمة بأشكاله وتعابيره المتعدّدة وأصبح موضوعاً بنائياً تطرق اليه أمثال ماركس ودوركهايم بيد أنّ ملفين سيمون قد أخرجه في المحاور الخمسة المذكورة لاحقةً وحاول أن يدرس ما تعقب هذه الظاهرة من سلوكيّات وتصرّفات المصاب به.

٢-١. الاغتراب وأبعاده في نظريّة ملفين سيمن

إن المقابل للكلمة العربية "الاغتراب" هو الكلمة الإنجليزية "Alienation " ويستخدم مصطلح الاغتراب في اللغة الإنجليزية ليشير إلى مضمون المصطلح اللاتيني "Alienatio(خليفـــة، ٢٠٠٣: ٢٣). ولاريب أن ملفين سيمن هو في طليعة علماء الاجتماع، حيث حاول أن يجعل مفهوم الاغتراب النفسي في قالب منسجم، وأبطل الفكرة هذه أنّ الاغتراب هو معلول عقليّ واحد. إذ حاول سيمون إضافة إلى تقديم تعريف مفهومي عن الاغتراب، وتعيين طبقات الاغتراب عن الذّات، أن يقسم صور وأنواع تصرفات الفرد السلبية في خمسة محاور هي على حدّ تعبيره أكثر التصوير المفهومي للفظ استعمالاً في علم الاجتماع للأدب والنفس (كوزر، ١٣٨٣: ٤٢٠). وتعدُّ دراسات "سيمن" من الدراسات الرائدة التي أسهمت في تحديد الأبعاد المختلفة للاغتراب على النحو التالي:

١.الشعور بالعجز[٣]: يقصد به شعور الفرد بأنّه لايستطيع أن يتخذ قراراته أو يقرّر مصيره، فإراداته ومصيره ليست بيديه بل تحدّدهما قوى خارجة عن إرادته الذاتية، وبالتالي يشعر بالإحباط (Seeman, 1959: 24) إحساس المرء بأنّ مصيره وإرادته ليسا بيده بل تحدّدهما قوى خارجة عن إرادته الذاتية، ومن ثمّ فهو عاجز تجاه الحياة ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع (خليفة: ٢٠٠٣: ٣٦).

٢.الشعور باللامعنى[٤]: هو شعور الفرد بأنه يفتقد الى مرشد أو موجّه لسلوكه، فالفرد المغترب يشعر بفراغ هائل نتيجة لعدم توافر أهداف أساسية تعطي معنى لحياته وتحدّد اتجاهاته وتستقطب نشاطاته(Seeman, 1959: 783) وهو شعور المرء بأنه لا يوجد شيء له معنى في هذه الحياة نظراً لخلوّ هذه الحياة من الطموحات وهذا النوع من الاغتراب لا يحدث إلا إذا يتعرّض الفرد للتردّد وهـــو إحســـاس الفـــرد بعـــدم وجـــود معنـــى للحيـــاة بالنســـبة إليـــه وعـــدم وجـــود أهـــداف فالأحداث والوقائع المحيطة به قد فقدت دلالتهـا ومعقوليتها (كوزر، ١٣٨٥: ٤١١).

٣. الشعور باللامعياريّة[٥]: هي شعور الفرد بعدم وجود معايير أخلاقيّة واحدة للموضوع الواحد، لذا لايتقبّل المعايير الاجتماعيّة ويسعى للخروج عن الأنظمة بشتّى الطرق المتاحة له وعدم قدرة الفرد على الاندماج في المجتمع نتيجة عدم ثقته ويتحقّق وجوده من خلال زوال القواعد االمنظَّمة للمعايير كالمذهب، والطقوس، والأسرة (نفس المصدر: ٤١٢).

٤. العزلة الاجتماعيّة[٦]: إحساس الفرد بالوحدة ومحاولة الإبتعاد عن العلاقات الاجتماعيّة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه وهي شعور الفرد بالرغبة في اعتزال الآخرين، وعدم الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

٥. الشعور بالإنزجار من الذّات[٧]: يشير إلى شعور الفرد بعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المتكافئة ذاتياً، وأنّ الانسان لايستمدّ الكثير من الرضا والاكتفاء الذاتي من نشاطاته ويفقد صلته بذاته الحقيقية ويصبح مع الزمن مجموعة من الأدوار والأقنعة، لايتمكّن من أن يشعر بذاته ووجوده إلاّ في حالات نادرة(seeman, 1959: 86-89). يرى سيمون أنّ أسباب الشّعور بالاغتراب عن الذّات هو الشّعور باحتقار الذّات أي شعور الفرد بتقدير سيّء سالب نتيجة الوعي بالتّباعد بين الذّات المثاليّة المفضّلة والذّات الواقعيّة (الجماعي، ٢٠٠٧: ٤٠)، ممكن القول العناية بالاغتراب بكلّ أبعادها أمثال الضعف، اللامعنى، والآنوميا و..باعتبارها ظواهر اجتماعيّة تعدّ في أغلبيّة الثّقافات مشكلة اجتماعية (آرون، ١٣٨٢: ١٦١-١٦٤).

٢-٢. ملخّص الرّواية

الكافرة هي رواية يبلغ عدد صفحاتها ٢٢٩ وهي في ثمانية فصول. تبدأ باستعادة ذكريات فاطمة - والتي تغيّرت فيما بعد إلى صوفيا-، بطلة الرواية، هي تصف تراجيديا حياتها في العراق؛ بلد التوتّر، والحروب المتتالية والأرض الملعونة التي تتبعها الخشونة والقتل واستولوا عليها الإرهابيّون فخلقوا نوعا جديدا من العبوديّة.

قد وُلدت فاطمة، الشّخصيّة الأصليّة، في قرية متآخية مع بيداء زمامها بيد المكافحين الإسلاميّين، هي وبقيّة النساء في القرى الأخرى مجبرات على تقديم الخدمات لأولئك العسكريين. تتزوّج فاطمة من شابّ عاطل عن العمل، ويقوم هذا الشاب أخيرا بعمليّة إنتحاريّة ويتحوّل من شخص خاسر إلى بطل. أما فاطمة تفرّ بواسطة من اغتصبها في الطّريق وتلوذ إلى بروكسل، فتغير هويتها إلى صوفيا هناك. فتبدأ حياتها الثنائيّة الشخصيّة وفي الحقيقة تريد صوفيا أن تنتقم من زوجها السّابق الذي أقرّ بأنّ سبب عمليّته الإنتحاريّة هو الحصول على سبعين حورية من الجنّة.

ففي بروكسل تتعلّق بشاب اسمه أدريان والّذي يخفي عن صوفيا هويّته غير أنّ صوفيا تكشف ختاماً شخصيّته الحقيقيّة بعدما تعثر على وثائق وصور مخبوئة في شقّته، فهو شابٌّ مسيحيّ ومتزوج راح إلى بروكسل ليقضي أيّام حفلة ميلاده وحيداً والّذي فقد أباه في الحروب الطائفيّة الّتي نشبت بين المسيحيّين في لبنان ففعل فعلة صوفيا بعد أن وصل إلى بروكسل محاولاً كتمان هويّته. تجري حوادث الرواية في إحدى القرى العراقية على شكل استرجاع الأيام الماضي وبطل القصّة فتاة تعيش في ظروف من الفقر وحالة من الظّلم الاجتماعي و انعدام الأمن والشّذوذ الاجتماعي مثل البطالة والتطرف. فإنمّا هي أمر هامّ لا يمكن تجاوزه بتاتا، فإنّنا سنقوم بتبيين ما انتاب البطلة من الاغتراب المكاني وتحدّياتها في رواية الكافرة.

٣. البحث

وقبل أن نعرض النصّ على النّظريّة- يجدر الإشارة إلى أن المحاور الخمسة لنظريّة سيمن، قدتقترب بعضها لبعض اقتراباً يستصعب على القارىء أن يميّزها عن البعض فعلى هذا حاولنا أن نختار من الرّواية من الأمثلة والشّواهد النّصيّة مايوحي بمضون المحور المدروس ايحاءاً يزيل عن الخاطر المفارغة البيانية.

٣-١. الشعور بفقدان القدرة[٨]

إنّ ملامح هذا الشعور، تبدو جليّةً في بعض الحوارات المتبادلة بين شخصيّات الرواية، كما أنّه يمكننا الحصول عليها من خلال المونولوغات الدّاخليّة لبطلة الرواية، على سبيل المثال تقول صوفيا بعدما تترك العراق إلى بروكسل: **نَعَمْ لَقَدْ تَجَاوَزْتُ مِحْنَتِي وَكنتُ أَبْحَثُ عَنْ سَبَبِ مَأْسَاتِي فَأَدْرَكْتُ أَنَّ سَبَبَ مَأْسَاتِي هُوَ أَنِّي أَعِيشُ في هَذَا اَلْعَالَمِ كَلاَجِئَةٍ غَرِيبَةٍ وَوَحِيدَةٍ أيضاً**(بدر، ٢٠١٥: ١٧٣).

نلاحظ في هذه العبارة صوفيا تكشف بصراحة عن شعورها بالاغتراب وهي في بحث عن طريق للخلاص من واقعها وإنّ فكرة الاغتراب، بمثابة زوال القدرة أو الضعف، والمتأثرة بالاتّجاه الماركسي، فهي الأعم استخداماً في هذا المجال، وإنّ هذا النّوع من الاغتراب لديه يمكن فهمه هكذا: إنّ توقّع الشخص، لا يقدر على تعيين مكتسبات أو قوات اعتيادية، حيث يبحث عنها في نتائج تصرّفه بنفسه(كوزر، ١٣٨٥: ٤٠٩). كما أنّ الشعور بالضعف يأتيها من جانب رجولة الثقافة التقليديّة قبل مغادرتها العراق وعلى ما يبدو إنّ مرارة هذا الشعور تجاه النظرة الدونية إلى الأنثى في مجتمعه أكثر بكثير

من مرارة الهجرة القهريّة إلى بروكسل وتلقيها أذًى من قبل المهاجرين الألبانيّين إذ هي تذكرها قائلةً: **وَلَكِنِّي بَعْدَ ذلِكَ خِفْتُ أَنْ أَكُونَ إِمْرَاةً يعْنِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مَرْغُوبَةً مِنَ اَلآخِرِينَ وَ مطلوبةً منهم شَعَرْتُ أَنَّ هَذَا اَلْأَمْرَ سَيجْعَلُ أَحَدَ هولاءِ اَلرِّجَالِ طَامِعاً بِي فَكَرِهْتُ هَذَا اَلتَّغَيُّرَ وَ التحوُّلَ في نَبْرَةِ صَوْتِي بَلْ أَصْبَحْتُ كَارِهَةً لِكُلِّ شَيءٍ مِنْ حَوْلِي صِرْتُ أَعِيشُ مَكْرُوبَةً بِسَبَبِ خَوْفِي مِنْ جَسَدِي بِسَبَبِ خَوْفِي مِنْ أُنُوثَتِي**(بدر، ۲۰۱۵: ۹۱)

وهذا المقطع من النصّ يدلّ على حريّة الرجل بأضعاف من المرأة في المجتمعات التقليدية كالعراق؛ أذ يذكر "غيدنز" قائلاً: «إن التقاء النظرات هو من أكثر أنواع العلاقات غير الكلامية تفشّياً بين النّاس وفي المجتمعات الّتي تتغلّب فيها سيطرة الرجل على المرأة فرديّاً أو اجتماعيّاً، فإنّ إحساس الربجل بالحريّة الكاملة في إلقاء النظرة إلى الآخرين أكثر بكثير من الأنثى» (غيدنز، ١٣٩٤: ٤١٢/١). وبطلة الرواية على الرّغم من أنّها استطاعت كتم وصمة عارها (الإغتصاب) إّلا أنّ هويّتها الاجتماعيّة صارت على وشك الإنهيار، لايمكنها أن تكون بمأمن من تداعيّاتها. فهي للوصول إلى هويّتها، تختار الفرار، الفرار من الظروف الحاكمة، والإسلامّيين المتفرّطين المتعصّبين، وعقبات موجودة. وأخيرا، في تلك البيئة الجديدة، بكل ما كان لديها من الحريّة، لا تجد هويّتها المفقودة، فهي إذن مصابة بنوع من الثنائيّة المعقّدة، هي تعاركها مع السنن الحاكمة على المجتمع الرجوليّ أولا ورحلتها إلى أروبا و التعرّف عليها ثمّ مواجهتها مع التطوّرات الحاصلة فيها ثانيا، وعلى إثره، تصاب بنوع من الضياع. حتّى اّللحظة الأخيرة من حياتها في العراق التي تنتهي بوفات أمّها (الذريعة الأخيرة من تعلّق فاطمة بالتراث) بل وحتّى بعد توفّر فرصة هجرتها، فهي تلتزم بالتراث، إّلا أنّها بعدما هاجرت إلى أروبا والوقائع التي تعاركت معها من اللاإرادة، ومشكلة لجوءها فجعلتها هذه الأمور هائمة على وجهها، غارقة في التناقض ومتوترة.

لَقَدْ شَعَرْتُ بِكُلِّ هَذَا اَلْإِذْلاَلِ وكلِّ هذا اَلْإِهَانَاتِ وَصَمَتُّ، كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَتَكَلَّمَ أَخْشَى أَنْ أَقُولَ الحَقِيقَةَ فَلاَ يصَدِّقُنِي أَحَدٌ فأنْزوي في أَلَمي وَصَمْتِي وَكَيْ أَتَفَادى كُلَّ هَذَا اَلظُّلْمِ وَهَذِهِ العُدوانيّةِ القَادِمَةِ مِنَ اَلشَّارِعِ كُنْتُ أهرَبُ إِلَى أَجْوَاءِ المَنْزِلِ الَّتِي لاَ أحِبُّها أَجلِسُ وَأَنْتَظِرُ أمّي هُناكَ (بدر، ۲۰۱۵: ۱۸).

بعد دراسة ما ذكرناه من أقوال صوفيا يمكن القول أنّ الشعور بفقدان القدرة بارزة في صوفيا وهي تحتمل أنَّ سلوكها غير قادرة على تحقيق النتائج المتوقّعة وحسب هذا، نشاهد أنّ المتمرّد الحقيقيّ هو مجتمعها الذي غيّرها إلى مثل هذه الشخصيّة. ولقد أسفر فقدان قدرتها عن ضآلتها ويغلب الطابع التشاؤميّ على شخصيَّتها، في ظلّ ما تعانيه من انغلاق واستسلام قدري، توصلها إلى نتيجة مفادها العبثيَّة واللاجدوى، في حياةٍ أشبه ما تكون بالموت، إذ لاخيار أمامها سوى الرضوخ والانصياع. على هذا يمكن أن نعدّ تصرف صوفيا هذا ناتجاً عن مدى ضعفها في الثّورة على الظّروف الراهنة، ومن جهة أخرى، إنها نشأت في أسرة لم تكن فيها القابلية اللائقة لتطبيقها على المعايير الاجتماعيّة، فإنّ الضّغوط الاجتماعيّة كالفقر، الظروف البيئية المردية، وكذلك الاضطرابات والخيبات، هي الّتي دفعتها إلى هذا الموقف.

أدريان أيضاً يشعر بفقدان القدرة، والمراد بها هو الذي لايعي باغتراب ذاتها، فيشعر بنوع من الوجع. هو غافلٌ عمّا يجري بجانبه، لذلك يفقد قدرته على حلّ الأزمات الدّاخليّة والتعرّف على أسباب اغترابه الذاتيّ: **أَمَّا شُقَّتُهُ فِي بروكسل؛ فَهِيَ تَعكس طريقَتَه الَّتِي اختارَها للابتِعاد عَنْ كلّ مَايُذّكره بحَقيقَته** (نفس المصدر: ۱۳۲). تمتاز شخصيّة أدريان من المنطلق النفسي بالشخصية الغارقة في ذاتها بهذه الخصوصيّة، فهو تحول، في بحثه عن ذاته الحقيقية، إلى شخصيّة منزويّة مجادلة مع السنن (خليل، ۱۹۹۹: ٥٦). فصوفيا قد أدركت انطواء حبيبها على نفسه فتركته

وحيداً: **طِوالَ علاقتهما تَركتهُ (صوفيا) مُنْغَمِراً فِي عُزْلَةٍ مُحْكَمَةٍ سَاهِماً ...تَرَكتُهُ خَائِفاً مِنْ تَارِيخِهِ وَتَارِيخِ عَائِلَتِهِ وَلَمْ تَمدّ لَهُ يَدهَا كَي تُساعِدَه عَلَى الخلاص مِن هذه التركةِ الثَّقِيلَةِ**(بدر، ٢٠١٥: ١٣١).

ويتزايد ألمه حينما يدرك قضيّة قتل أسرته الابوية خلال الحرب، ومشاركة أبيه في عمليّة إنتحاريّة: **شَخْصٌ خَائِفٌ عَلَى الدَّوَامِ مِنْ ماضيهِ...إِنَّهُ خَائِفٌ فَقط إِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى قَوْلِ أَيِّ شَيْءٍ يُخْفِي عَلَى الدَّوامِ حَيَاتَهُ كَمَا لَو أَنَّهُ يُخْفِي يَداً مَجدوعَةً أو قَدَماً مَبْتُورَةً إِنَّهُ يُخْفِي حَياتَهُ الماضِيَةَ مِثْلَ عاهَة**(نفس المصدر:٧٧).

هو لايدري حقّاً ماذا عليه أن يفعل، فعلى هذا فإنه تزوّج من فتاة باقية، للتخلّص من فقدان القدرة هكذا. والمرحلة الآتية هي الإنزجار الثقافيّ، على هذا فإنه ينزجر من ماضيه وثقافته مخفيا اصالته اللبنانيّة مقدّما نفسه كشخص إسكندينافي، ويبتعد عن اللّغة العربيّة وتجليّات ثقافته كلّها معلناً الثّورة والتمرُّد وعدم الانصياع لنواميس الاجتماع السائدة، بالتّالي، فإن الآنومي وانزجاره الذاتي مؤشرات تدفع أدريان نحو اللااكتراث واللاعناية.

٣-٢. الشعور باللامعنى

أول ما نجد ملامح هذا الشعور لدى صوفيا، يتمثل في طفولتها عندما كانت في قريتها المتآخية في العراق والآن تسترجعها وهي تعيش في بروكسل، إنّها تتذكر كيف خضعت الأنثى لسلطة الرجولة في المجتمع التقليديّ وكيف تحوّلت أمّها وأبناء جنسها-ومنهنّ زميلتها التي تزوّجت من عمر قريب- إلى دُميةٍ يتلاعب بها الرجال. فانتابها هذا الشعور عندما وجدت أنّ مكانة الأنوثة وحقوقها في مجتمعها منتهكة من قبل الرجولة وأنّها هي الّتي تُعذَّب وترُجم لأنّ في الرؤية التقليدية المتطرّفة «**المرأةُ هي الّتي تُغوي الرّجلَ...**»(بدر،٢٠١٥: ٤٩). لم‌تستطع صوفيا أن تغيّر نظرة المجتمع الرّجوليّة إلى الأنثى وتستردّ حقوقها المسلوبة. فكلّ محاولاتها باءت بالفشل ببلدها وراء البحث عن المعنى واضطرّت إلى الربحيل، الرّحيل إلى أروبا، علّها تتخلص هناك من المحن وتجد مكانتها اللائقة بها. غير أنّها انتقلت من مأساة إلى ما هو أسوأ مما أصابها أذى من المهاجرين الألبانيّين.إذ تتذكرها بمرارة قائلة: «**ففِي تِلك الأيّامِ السّودِ جائتني رَغبةُ الانتِحارِ...**» (نفس المصدر: ١٧٢).

في الواقع، إذا أردنا دراسة هذا الموضوع من منطلق القضايا الفرديّة، فلنقل، في أغلب الأحيان، إنّ الفرد يقدم على تغييرات ظاهرية، رغبة في الحصول على رضى شخص آخر. ومن الناحيّة الثّقافيّة والاجتماعيّة، إنبه هناك قضايا كتطوّر المجتمعات وحداثتها وتكوين النّماذج الجديدة والتّظاهر والحضور في مجتمع جديد، لها تأثير كبير في تكوين هذه التيّارات السلبيّة.

في صوفيا شعورها باللامعنى يتجلّى في هيئة الانتحار وظهر بعد بالانزواء، والخجل، وسوء السّمعة، وعدم مؤاخاة الناس معها وظلمهم عليها: **لا تلُمني، كنتُ يائسةً مهدّمةً، فأردتُ الموتَ والخلاصَ، كنتُ أشتهي أن يُمزّقني ذئبٌ، بأنيابِه، أو أنْ تدُوسني عجلاتُ قطارٍ، كنتُ أريد موتاً بَشِعاً، يعادلُ هذا الألمَ الّذي أثقلَ قَلبي**(بدر،٢٠١٥: ١٧٢).

وبعد انتحارها الفاشلة، تظهر في شكل انتقام من الرجال؛ **بعد أن فقدت معنى حياتها، بعد قضية الاعتداء تحوَّلَ كُلُّ فَرْدٍ صَغِيرٍ مِنْ هذه القَريةِ إِلَى طَاغِيةٍ لَقَدْ كَسَبُوا بِالقُوَّةِ و السُّلْطَةِ خُضُوعَ النَّاسِ**(نفس المصدر: ١٩٠).

يمكن أن نعدّ شخصية صوفيا من نوع الفرار من ذاتها، لأن اغترابها الذاتي يصل إلى حد تفرّ من ذاتها الحقيقة ساعية إلى نسيانها وإصالتها والأشياء التي تربطها إلى ذاتها وماضيها. فتغيير اسمها وسلوكها يشهد على هذا الامر، إلّا أّن هذه

الشخصيّة الفارّة من ذاتها لا يمكنها الفرار من القوة المحرّكة في وجودها حيث تربطها على الدّوام إلى ذاتها الحقيقية. هذا هو القوّة الّتي تحيلها إلى ذكرياتها الماضية برمّتها، إلّا أنّها تسعى لإزالة هذه القوّة التي تذكرها باغترابها الذاتي وهذا هو الفرار من الذّات. فبعد انتحارها تلوذ بحبّ ممنوع في بروكسل الّذي لم تتمّ فيه مراعاة الضوابط العرفيّة والاجتماعيّة، قصدا إلى تقليل الضغوط الناتجة عن حياتها الصّعبة المضنية. كلّ هذا القرارات أسفرت عن أنّ صوفيا تبحث طريق الخلاص من الأزمات النفسيّة المنبعثة من طفولتها، في المواجهة معها أوّلا وفي خلق هويّة جديدة وإزالة شخصيّتها القديمة واختيار اسم جديد لنفسها. وبعد خيبتها من الإنطباق على الظّروف الجديدة، أي عند مصادفتها مع جماعة من المهاجرين الالبانيين حيث يسخرون منها متعدين عليها، لاتطيق استخفافهم، فإنّها تسعى إلى إبادة الذات بالفعل، ويلجأ إلى الهروب والعزلة ونتيجة لكثرة أزمات الهوية التي طرأت عليها، فإنّها تحّولت إلى شخصيةٍ لاتجعل للمعايير الدينية وزنا ولجأت بالقيم الأجنبية. **قُلْتُ لِنَفْسِي الأَسْمَاءُ أَقْدَارٌ كَانَ قَدَرِي مَعَ اسمي فَاطِمَةَ سَيئاً هَكَذَا عَلَيّ أَن اسْتَبْدِلَهُ بِاسْمٍ آخَرَ عَلَّهُ يَجلبُ الْحَظَ لِي، اَلْاسْمُ البلجيكيُّ الجَدِيدُ سيمنحُنِي حَياةً جَدِيدَةً سَيْكِرُ كُلَّ أَصْلِ السَّابِقِ لِي وَينفيهِ، سَيجْعَلُ منّي امْرَأَةً مُحْتَرمَةً سَيرْغمُ الآخَرِينَ عَلَى احترامي**(نفس المصدر : ١٧٤).

بيد أنّ ردّ القيم الدينيّة لم‌تنفعها شيئاً فإنّها بذلك لم‌تكسب معنى الحياة بل راح ما عندها من المعايير والقيم، أدراج الرياح. فبلغ الأمر بها أن تقول في نهاية الرواية: **أنا لاشيء، أنا عدمٌ،...** (نفس المصدر: ٢١٨).

تجدر الإشارة بأنّ شأن أدريان في هذا المجال يختلف عمّا كان عليه صوفيا، وفي هذا المبحث، نصادف نوعا آخر من الاغتراب في نظريّة سيمون والّذي يسمّى باللامعنى وهذا النوع من الاغتراب مبتن على مدى إدراك الفرد للوقائع الّتي شاركها هو. وفي اللامعنى يمكن أن يكون المراد منه حدّا كبيرا من الاغتراب، وذلك عندما لا يدري الشخص أنه بأيّ شيء يعتقد، أو حينما لا تتوفرّ لديه المعايير الفردية لاتّخاذ قراره المعيّن (كوزر، ١٣٨٥: ٤١١).

أدريان لَقَدْ نجحَ فِي أَن يَغدو شَخْصاً آخَرَ(بدر، ١٣٢: ٢٠١٥). يسعى أدريان إلى كبت هويته الاجتماعيّة، وليس له هدفٌ في الحياة وينسى حياته الماضية دافعا نفسه إلى الإلتزام بالإضراب عن لغته الأم، طقوسها وثقافتها، وكيفيّة ارتدائها وحتى ماضيها، وبالتالي يتعرض لخلأ في هويته.

٣-٣. اللامعيارية[٩]

يمكن القول بأن المغترب ليس فاقدا للقيم، وانما لديه منها ما يتناقض مع قيم المجتمع واعرافه وإنه كلما ازدادت حدة التناقض بين ما يدركه الفرد، على أنّها قيم مهمّة بالنسبة اليها وما يدركه من قيم الآخرين زاد تبعا لذلك الاحساس بالاغتراب، ويمكن اعتبار نوع الانتحار من قبل صوفيا، وفقاً لوجهات نظر "دوركهايم"[١٠]؛ (من نوع الآنوميا) والذي يختبره بعد نشوب صراع، ومن خلال تحليل المجتمع الحاكم، يمكن ملاحظة أنّ درجة التناقض وعدم الإتّساق بين البيئة والقيم كثير جداً ولايوجد ترابط اجتماعي، والوضع الذي ينبثق من علامات هذا الوضع غير المتوازن؛ هو زيادة في الميل إلى انتهاك الأعراف الاجتماعية والميل نحو الجريمة والسلوكيّات الفرديّة والأسريّة غير المعتادة، قدأدركت صوفيا أنّ القيم الإنسانيّة والإسلاميّة منتهكة في مجتمعها وتسودها اللامعيارية: **مَدِينَةٌ اجْتَاحَهَا دَاءٌ كَبِيرٌ، يا صَدِيقِي لاَ قَانُونَ فِيهَا وَلاَ نِظَامَ بَلَد مُقْفِرٌ آخِذ بِفِقْدَانِ هُوِيتِهِ يجْتَاحُهُ اَلصَّحْرَاوِيونَ وَجِيرَانهُ اَلْمُتَوَحِّشُون**. المدينة التي وصفتها صوفيا، فقدت معاييرها ضمانها التنفيذي اللازمة، وأصبح الناس يصرّفهم انعدام القواعد والقيم وقد ضعفت المشاعر الجماعيّة، وفي المراحل اللاحقة في هذا المجتمع، نشاهد الشذوذ. غير أنّ في المجتمع الأروبي نجد صوفيا لاتقيم وزناً للمعايير التي

يجب أن تلتزم بها المرأة المحترمة وتعدل عنها وينبغي أن نسمّي هذا العدول عن القيم بالإنحراف من منطلق علم الاجتماع. ينبعث حقدها العميق من المجتمع الذي تهيمنت عليه رؤية العنصريّة والفقر والمفارقة ممّا ينتهي أمرها إلى هذا التصرف المبيد(الدعارة)؛ يقول صوفيا: **كنتُ أجرِّبُ كلّ أشكالِ الرجالِ. . . و كنتُ أحبُّ أن أتناولَ الطعامَ معَهم و في أحيانٍ كثيرةٍ، على حِسابي و أشربُ مَعَهم و أنامُ معَهم كلّه لم يكنْ سوى احتفاءٍ، بالحياةِ الجديدةِ وتجريبِ طعمِ الفردوسِ، الفردوسُ الذي جَعلَ زوجي ينحَرُ نفسَه مِن أجلهِ** (بدر، ٢٠١٥: ١٩٧).

وينتهى أمرها إلى الذهاب إلى كازينو. **تَحَوَّلَ فيمَا بَعْدَ إِلْى لُعْبَةٍ تَحَوَّلَ إِلْى تسليةٍ إِلْى شيءٍ مُمْتِعٍ أَقُومُ بِهِ ضِدَّ الرِّجَالِ كيْ أَتْحَدَّى ذكائَهم، أحطّمُ لَهُمْ عُنهُجيتَهم وَ إعتدادَهم بِنَفْسِهِمْ أستخدمُهُ للسخريَةِ والضحك مِنْهُمْ** (نفس المصدر: ١٩٧). تقول صوفيا إنها: **هو نوعٌ منَ التصالحِ مع جَسدي الذى أخفيتُه و خشيتُهُ وأزلتُهُ.** (بدر، ٢٠١٥: ١٩٠).

إنّ سببا من أسباب دعارة النساء هو الشعور بالانتقام، وهذا الشعور ينبعث من حقد وانزجار يتعلق بأسباب جنسية وحسادة الأنوثة (كي‌نيا، ١٣٧٣: ٤٠٥). بناء على هذا، إنّ صوفيا تصبح ضحيّة لتعدّي الداعش وبعد أن خابت من حبها تميل إلى الاستهتار والدعارة انتقاما من الرجال لتتحدّي بالتمرّد على السنن ضد رجال مجتمعها. وفي نهاية الرواية تنقد ثنائية تصرّف الرجال وهكذا تروي قصّة مرّة لمرأة قد ساقها الحبّ إلى الدّعارة، انتقاماً من رجال مجتمعها بسب تصرفاتّهم الشنيعة وما فيها من المفارقة أو التناقض. هي واعية تماما بما في نفسها من طاقة، وبوجود الهوّة بينها وبين مطلوبها وتخفيها كوصمة.

٣-٤. الشعور بالعزلة الاجتماعيّة[١١]

يمكن التعبير عن العزلة بأنّها نوع من الإحساس بالإقصاء والرفض كنقيض للقبول الاجتماعى، وهو بالتالي شعور الفرد بالوحدة والافتقاد الى الأمن والعلاقات الاجتماعيّة الحميمة وقد يكون هذا مصحوباء بالشعور بالرفض والإنعزال عن الأهداف الثقافيّة للمجتمع وهذا قديؤدّي بالنتيجة الى البُعد بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع وفيه يشعر الفرد بعدم التعلّق والانفصال التامّ عن القيم الحاكمة في المجتمع. إن الشعور بالانزواء الاجتماعي، من وجهة نظر سيمون، ليس معناه فقدان طاقة تكيّف الفرد مع صعيده الاجتماعي، بل معناه إنفصال قدرة الفرد عن الطاقات الثقافي(كوزر، ١٣٨٥: ٤١٤).

الشعور بالعزلة بارزة في شخصية صوفيا انطلاقاً من قريتها ووصولاً إلى بروكسل، إذ انتهى المسير بها إلى أن استشعرت أن كلّ هذه الشهور التي قضتها مع أدريان وهو مريض بالمستشفى، كان لها مظهراً وهميّاً و إن كان حقيقيّاً. فعندئذٍ: **شعرت لحظتَها أنّها في عُزلةٍ قاتلةٍ في داخلِها ألمٌ لامتناهٍ وقد بدا لها ذلك البُعدُ الشاحبُ...و هي تنظرُ من النافذةِ، شعرت بأنّها ضائعةٌ مُبعَدَةٌ مهجورةٌ وللتّفادي هذا الاحساسَ عادت لتجلسَ قربَ أدريان** (بدر، ٢٠١٥: ٢٠). هذا هو نهاية قصّة حياة صوفيا، غير أنّ الاحساس بالعزلة ظاهرة أخذت صوفيا تستشعرها من بداية رحلتها المستقبلية، فلمّا تصل إلى بروكسل ينتابها الشعور بالعزلة أيضاً إذ تقول: **لَقَدْ شَعْرَتُ هَذَا المكان لَمْ يَعُد مكاناً ملائماً لِي لَقَدْ أَصْبَحَتُ غريباً تَائِهاً حَتى أَنَّنِي لَمْ أَشْعُرْ برغبةٍ بِالصُّرَاخِ فِي وَجْهِ مَنَ يُزعِجُني، كما فِي الْمَاضِي أَصْبَحْتُ مِثْلَ بَقَرَةٍ عَجُوزٍ** (نفس المصدر: ١٧٢).

ها هي صوفيا التي أصيبت بنوع من الإهباط ما يسميّه الاجتماعييون الاغتراب المكاني، «والاغتراب المكاني شعور تنتاب الشخص عبر رحلته من مدينة أو منطقة إلى أخرى بغية تحقيق الآمال والأحلام فإذا به تغمره هذه الشعور لإنه لايجد سبيلا إلى تحقيق مبتغاه فيحسّ باليأس والإهباط»(بنت بلال، ١٤٢٨: ١٣٥ نقلاً عن حاجي زاده، ١٣٩٠: ٥١). ففي هذه التوصيفات في الحقيقة، إنَّ صوفيا فقدت سكينتها النفسيّة وهويّتها الحقيقيّة. تزامن هذه مع إقامة حفلة وطنيّة في بلاد بلجيك، عندما تجد نفسها غربية ولم تقدر على تطبيق ذاتها على الثقافة والهوية الجديدة: **لَمْ يَعُد هُنالِكَ ما يرْبِطُنِي، شَعَرْتُ بِأَنَّنِي غَرِيبَةٌ عَنْ كُلِّ ما يُحيط بي**.

فكلما تمرّ بها الأيّام كلّما يزداد أحساس صوفيا بالغربة والوحدة النفسية وهي تذكرها قائلة: **كنتُ أسِيرةً فِي الشوارع والنَّاسُ ينْظُرُنِي، بِاستغرابٍ بِسَبَبِ قَصماني الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ أَلْبسُهَا الْوَاحِدَةَ فَوْقَ الأخرَى أَوْ مِنْ شَعْرِي المجعّد الْأَسْوَدِ وَوَجْهِي الْعَرَبِيِّ النُحاسي**(نفس المصدر: ١٥٩). في الحقيقة، فإنّ رحلتها إلى أوروبا هي نتيجة الصّراع مع هذا الفقدان، وكل ما جرى لها في العراق، جعلهتا تشعر بالضياع والطرد في أوروبا.

وفيما يتعلّق بأدريان ايضا إنّه يعاني من العزلة الاجتماعيّة ايضاً، فقد تحوّل أدريان إلى شخص عديم الثّقة ساعيا إلى إنشاء حاجز حصين بينه وبين الآخرين، لئلّا يّطلع الآخر على ماضيه، أو يقوم بتعامل معه، هذا وإنّ الأمر يعود إلى خوفه واضطرابه: **مَا كَانَ ينشده ذَلِكَ الوَقْتش بِهَذِهِ العُزْلَةِ هُوَ الحُصُولُ عَلَى الخَلاَص مِنْ وَاقِعٍ يَهْرُبُ مِنْهُ، وَاقِعٌ لاَ يَمُتُّ لَهُ بِصِلَةٍ، وَاقِعٌ مَوْجُودٌ عَلَى نَحْوٍ مُرِيعٍ لاَ يَسْتَطِيعُ اَلفكَاكَ مِنْهُ** (بدر، ٢٠١٥: ١٣٢)

يشعر أدريان بافتقاد العلاقات الاجتماعيّة وبالبعد عن الآخرين، وما كان في عزلته وانزوائه في ذلك الوقت بصدد البحث عنه، هو الحصول على الخلاص من الواقع الذي كان يفرّ منه الواقع الموجود لكن في هيئة مخيفة، لم يكن بدّ له منها فيخلص نفسه باللّجوء من عالم الواقع إلى عالم الخيال، ليقلّل من شدة معاناته من ماضيه وخيبته. إنّ ادريان مال إلى الانزواء؛ وانزوائه الاجتماعيّ متكوّن من تعاملاته الاجتماعيّة القليلة مصحوبة بالوحدة. هو لم ينزو فقط بل غرق في اللاعناية. نلاحظ في خصوص أدريان، شخصية تيماتيك القصة، الانزواء الاجتماعي وإنكار الذات، مما يقول سيمون بأنّهما من مظاهر اغتراب الذات: **حتَّى الحكايات الَّتِي كان يخترعُها كانت هِيَ طريقَته، بالإنكفاءِ والإبتعاد عَنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا شقَّتهُ فِي بروكسل؛ فهي تعكسُ طريقتَه الّتي اختارها للابتعادِ عَنْ كلّ مَا يذكره بحقيقَته**(نفس المصدر: ١٣٢). يتزامن اغتراب الذات لأدريان مع فقدانه لهويته، فهو يبحث عن هويته الضائعة بين القيم الشرقيّة والغربيّة، بين الماضي والحاضر، مدبراً عن هويته العربية لاجئا إلى شقّة مناسبة للعزلة والإنزواء: **حَتَّى أصبحتِ الشّقَّةُ بِالنِّسْبَةِ لَهُ مَلَاذاً وَمكاناً للعُزلة** (نفس المصدر: ١٣٠).

إنّ أهمّ مؤشرات أزمة الهوية كفقدان الذات مقابل الهويّة الغربيّة، إنشقاق الهويّة وانهيارها تبدو واضحا في الرّواية ومن أهمّ مؤشرات أزمة الهويّة لشخصيّات الرواية هو الشعور بالضياع، واغتراب الذات، والنزوع إلى الهويّة الغربيّة، والقنوط من الهويّة الوطنيّة، وهي أزمة الشخصيّات، ناتجة عن التداعيات الثقافيّة والإقتصاديّة والجهل والتخلّف والفقر. فإن الشخصيّات تفرّ من ذواتها في هذه القصّة، باحثة عن موقف أفضل وهويّة أخرى. الجدير بالذكر أنّ علي بدر استطاع أن يصوّر بدقّة حياة جيل الشبان في بوتقة الحرب والصخب وإنّ صوفيا لا تزال غير راضية عن وضعها الموجود، فهي تنمو في أسرة صغيرة وعالم مغلق وضيق، إلى أن تعرف على ادريان المنطوي على ذاته والذي جرحته مصيبة الحرب، تتجلّى في القصة بوضوح، معضلات صوفيا منها التوتّر، والقنوط من الحياة، كما أنّها تمّ وصفها من قبل صوفيا نفسها. لمّا تعرّفت صوفيا على أدريان، تجد طريق نجاتها في وجوده وحبّه، ساعية إلى إيجاد علاقة معه، فهي بعدما فقدت تعلّقاتها

كالزّوج والأمّ وتتعلّق في بلاد أجنبية بأدريان، مؤمنة بأنّها لن تنجو به من التعاسة، وهي لا تدري بأن أدريان نفسه جريح ماض قضى على أبيه، فهو أيضا مشغول بنفس المشكلة، أي حرب اللبنان الوطنيّة الّتي كانت قد دفعت أسرته لها ثمنا باهظا.

٣-٥. الشعور بالانزجار من الذات[١٢]

حسب نظرية سيمن الّتى ذكرناها آنفا وأيضا حسب نظرية "وصمة العار[١٣]" باعتبارها من أهمّ المفاهيم الإبداعيّة "إرفين جوفمان"[١٤](١٩٢٢ -١٩٨٢)؛ كاتب وعالم اجتماع، إن تشاؤمها، وخوفها من ظهور عارها وميلها إلى صيرورتها إلى شخصية أخرى، وخوفها من الوصمة، كلّها يشعرنا بوجود وصمة عار ترافق صوفيا في حياتها. ولقد نشأت هوّة بينها وبين المجتمع، وينزجر من نفسها ومن ماضيها وهويّتها العربيّة ففعلها فعل أدريان الذي يحاول التكتّم والنسيان. ممكن القول بأن صوفيا وأدريان لديهما نوع من الشعور بالإنزجار من الذات وعقب ذلك يحدث التخفي عن الذات فيتجلّى هذا الاحساس فيما يلي من العبارات: **هكذا كان أدريان يُمارِسُ التَّخَفّي عن طريقِ الكتمانِ والنِّسيانِ، كان يُدَرِّبُ نفسَه على الاختفاءِ الحقيقيِّ وتغييبِ جَسدِه عن النّاسِ؛ هكذا تَخَفّت فاطمةُ بصورةِ صوفيا البِلجيكيّةِ، إنّها لوحةٌ مِن لوحاتِ الهُروبِ من الذّاتِ، وهكذا أنكرَ أدريان أن يكونَ لبنانيّاً ابنش غابرييل جبّور** (بدر، ٢٠١٥: ١٣٢).

ولطالما حاولت صوفيا أن تصالح بين الذات والجسد وتعيد النظر في رؤيتها لذاتها وها هي صوفيا بعد وصولها إلى بلجيكيا إذ تقول واقفة أمام المرآة: **لقد كانت هذه هي المرةَ الأولى الّتي أنظرُ إلى نفسي في المرآةِ...لكن حين نظرتُ لجسدي، كنتُ كما لو كنتُ أنظرُ لجسد آخرَ غيرَ جسدي لمأكن أنا من ينظرُ إلى نفسه ولا هي أنا في المرآة...كم تشبهني هذه المرأةُ ولاتشبهني أيضاً...كم هي أنا ولستُ أنا..**(نفس المصدر ١٦٥) فيطول بها الوقت حتّى يتقبل الذات غير أنّها لم تكد تتقبّل نفسها وواقعها الراهن حتى تلمّ بها محن الهجرة والاغتراب والنفي... لذلك ينهار مابَنَتها طوال تواجدها في المدينة الأوروبية منذ لجوئها إلى الحبّ الممنوع الّذي لم تتّم فيه مراعاة الضوابط العرفيّة والاجتماعيّة، قصدا إلى تقليل الضغوط الناتجة عن حياتها الصعبة المضنية. فإذا بها نجدها تقول في نهاية الرواية: **أمّا اليومَ...ها أنا أمامَك وقد اعترَفتُ لك بِكلّ شيءٍ، أنا لَن أنجو لأنّ آلافَ أشباحٍ تَسيرُ مَعي...**(بدر ،٢٠١٥: ٢١٩).

فهي في تلك البيئة الجديدة، بكلّ ما كان لديها من الحريّة، لا تجد هويّتها المفقودة، فهي إذن مصابة بنوع من الثنائيّة المعقّدة، هي تعاركها مع السنن الحاكمة على مجتمع أبوي السلطة أولا ورحلتها إلى أروبا والتعرّف عليها ثم مواجهتها مع التّطوّرات الحاصلة فيها ثانيا، وعلى إثره تصاب بنوع من الضّياع. حتّى اللّحظة الأخيرة من حياتها في العراق التي تنتهي بوفات أمّها(الذريعة الأخيرة من تعلق فاطمة بالتراث) بل وحتّى بعد توّفر فرصة هجرتها، فهي تلتزم بالتراث، إلّا أنّها بعدما هاجرت إلى أروبا والوقائع التي تعاركت معها من اللاإرادة، ومشكلة لجوءها وجعلتها هذه الأمور هائمة على وجهها، غارقة في التناقض ومتوترة. فصار تعاملها مصحوبا بالإضطراب وهذا تدلّ أيضا على مجتمع تزول أخلاقيّاته وأنظمة سلطته كالدين والتراث. وصوفيا ففي مثل هذا المجتمع، بدل أن تكون فرحة بعد مرحلة طفولتها بالغة، إننا نجدها مضطربة ومرتبكة من أصابع التهمة والتجاوز. لأنها تعرف أنه إذا اتّهمت بشيء في المجتمع وهي بريئة عنه، فستؤاخذ بعقاب لن تستحقّها بتاتا.

في نظرية الاغتراب لسيمون، إن الشعور بالانزواء الاجتماعي مفهومه فقدان قابلية تعايش الفرد مع فضائه الاجتماعي، بل وإنّ انفكاك الفرد الفكري ذلك من المعايير الثقافيّة يصدق على صوفيا وذلك واقع فكريّ يشعر من خلاله الفرد بعدم

التعلّق والإنفصال التامّ عن القيم السائدة للمجتمع بحيث إنّ شخصية صوفيا تألّفت فيها، وتريد الآن أن تنفصل عن تلك الفترة برمّتها، في المجتمع الجديد، بانية شخصيّة جديدة لنفسها، مدبرة عن كلّ ما يصلها بالماضي. الجدير بالملاحظة أنّ القضيّة لا تنتهي إلى هذه، بل تدفعها مشاكل أخرى وقضية اللجوء إلى القيام بالانتحار.

النتائج

حسب ما مضى تبدو إشكالية الاغتراب في بعض تبادل الكلمات بين شخصيات الراوية بطريقة واضحة، ولكن في أعماق السرد من الممكن ملاحظتها أيضا، وعلى وجه التحديد إنّ اغتراب صوفيا هو من نوع الضعف واغتراب أدريان من نوع اللامعنى والعزلة الاجتماعيّة وذلك أشدّ عمقاً من صوفيا. ويمكن تقسيم شخصيات القصّة على أساس علم النّفس وإدراج آدريان في شخصيّة غارقة في ذاتها وصوفيا في شخصيّة فارّة من ذاتها. إن دراسة الأثر تشعرنا بأنّ المحاولة في كشف الهويّة وفرديّة المرأة لها مكانة خاصة في الرواية، وقد تطرّقت رواية الكافرة إلى قضيّة الهويّة ومكانة المرأة العراقيّة في المجتمع.

إنّ ظاهرة الاغتراب متجلية تماما في رواية الكافرة، والشخصيّتان الأصليّتان تتّصف بالاغتراب بنحو من الأنحاء. هذا الامر متجلٍّ في التصرّفات، والمواجهة والتعامل مع القضايا والاشخاص، وكيفية إتّخاذ القرار، حيث كأنّه هناك حوادث مشتركة بينها تفضي إلى اغتراب كلّ منهم عن مجتمعهم، فكلّ شخصية مغتربة عن ذاتها ومجتمعها؛ هذا الأمر لا يختصّ فقط بصوفيا وأسرته الساكنة في العراق، بل إن أدريان الّذي أقام بلبنان ونشأ فيها ولجأ إلى بلجيكا، فهو يعاني من القضيّة نفسها. وممكن اعتبار اغتراب أدريان من اللامعنى والشعور بالعزلة الاجتماعيّة أمّا اغتراب صوفيا من نوع فقدان القدرة. من أهمّ مؤشرات أزمة الهويّة المتجليّة في رواية الكافرة هو اغتراب الذّات، إنهيار الهويّة وانفكاكها، والإبتعاد عن الهويّة الأصليّة والميل إلى الهويّة الغربيّة وهي تنشأ في غالب الأمر من التداعيّات الثقافيّة والإقتصاديّة وكذلك التخلّف والجهل.

مرفقات:

1). Melvin Seeman
2).Alienation
3). Powerlessness
4). Meaninglessness
5). Norinlessness
6). Social isolation
7). Feelings of Self Estranyement
8). Power lessness
9). Normlessness
10). David Émile Durkheim
11). Social Isolation
12). Feelings of Self Estranyement
13). Stigma
14). Erving Goffman

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- آرون، ريمون .(١٣٨٢ش)، **المراحل الأساسية للتفكير في علم الاجتماع؛** باقر برهام، الطبعة السادسة، طهران: المنشور العلمي والثقافي.
- بدر، علي (٢٠١٥م)، **الكافرة**، الطبعة الأولى، بغداد: منشورات المتوسط.

- بلاوي، رسول و آخرين. (٢٠١٢م)، «موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي»، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية**، سنة ١٩، رقم ٣، صص ٧٧-٩٤.
- جعفر، محمد راضي. (١٩٩٩م)، **الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- حاجي‌زاده، مهين وعلى فضا مرادي.(١٣٩٠هـ.ش)، «الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب»، **فصلنامه لسان مبين(پژوهش ادب عرب)**، سال دوم، شماره سوم (بهار ١٣٩٠)، صص ٤٥-٧١.
- الجماعي، صلاح الدين أحمد .(٢٠٠٧م)، **الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي**؛ ط١، القاهرة:مكتبة مدبولي.
- الجوهرى، عبدالهادى. (١٩٨٣م) **قاموس علم الاجتماع**، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة.
- الخشروم، عبدالرزاق. (١٩٨٢م)، **الغربة في الشعر الجاهلي**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- خليل، بكرى (١٩٩٩م)، «الفكر القومي بين الاغتراب التاريخيه النقديه»، **مجلة المورد**، عدد ٢، صص ٥٤-٧٠.
- خليفة، عبد اللطيف محمد. (٢٠٠٣م)، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**؛ د.ط، مصر:دارغريب للطباعة والنشر .
- الربيعى، محمد و رنا فرمان (٢٠١٤م)، **الوثيقه والتخيّل التاريخي في روايات علي بدر**؛ إشراف ناهضة ستار عبيد، جامعه القادسية، بغداد، مرحلة الماجستير.
- رجب، محمود .(١٩٩٣م)، ***الاغتراب سيرة ومصطلح***؛ ط٤، القاهرة،: دارالمعارف.
- زمالي، نجمة. (٢٠١٨م)، «اغتراب الشخصية في رواية عرش معشق لربيعة جلطي»، **مجلة كلية الآداب واللغات** بجامعة محمد خضير-بسكرة، العدد الثاني والعشرون، صص ٢١٧-٢٣٥.
- كاظم زاده، نسرين وآخرين. (١٣٩٨هـ.ش)، «ابعاد التعلق المكاني في رواية "سويسرا والوطن والمنفى" (سويسرا الوطن والمنفى) لسناء أبوشرار»، **فصلنامه لسان مبين (پژوهش ادب عرب)**، سال يازدهم، شماره ٣٧ (پاييز ١٣٩٨)، صص ٨٩ -١٠٨.
- كوزر، ليوئيس. (١٣٨٣)، **حياة ومفهوم حكماء علم الاجتماع**؛محسن ثلاثى، ط: الحاديةعشرة، طهران: منشورات علمى.
- ---، ---- وروزنبرگ. (١٣٨٥ش)، **النظريات الأساسية في علم الاجتماع**؛ فرهنگ ارشاد، الطبعة الثالثة، طهران:منشورات نى.
- كى‌نيا، مهدى. (١٣٧٣ش)، **أسس علم الجريمة**، ج ١، الطبعة الرابعة، طهران، منشورات جامعه طهران.
- گافمن، اروينگ .(١٣٨٦ش)، **وصمة العار؛ محاولة للهويّة المفقودة**؛ مسعود كيانپور، الطبعة الثانية، طهران:منشورات مركز.
- گيدنز، آنتونى (١٣٨٣ش)، **علم الاجتماع**، م: منوچهر صبورى، الطبعة العاشرة، طهران: منشورات نى.
- ---،---- (١٣٩٤ش)، **علم الاجتماع**؛ هوشنگ نايبي، الطبعة السابعة، طهران:منشورات ني.
- الموسى، انور عبدالحميد. (٢٠١١م)، **علم الاجتماع الأدبي**...، بيروت، دار النهضة الأدبية.
- نايبى، هوشنگ وبهنام لطفي خاچكى.(١٣٩٤ش)، «أثر علاقات القرابة على مستوى الأضرار الاجتماعية في محافظات البلاد»، **القضايا الاجتماعية في إيران**، الرقم ٦، صص ١-٢٦.

- النوري، قيس .(۱۹۷۹)، «الاغتراب اصطلاحا، مفهوما وواقعا»، **عالم الفكر**، المجلد ۱۰، العدد ۱، الكويت.
- *Seeman, M.(1959) on the meaning of Alienation sociological Reciew.*

فصلنامه علمی لسان مبین (پژوهش زبان و ادب عربي)
مقاله پژوهشی، سال دوازدهم، دوره جدید، شماره چهل و چهارم، تابستان ۱۴۰۰

واکاوی بیگانگی مکانی در رمان «الکافرة» اثر علی بدر بر اساس نظریهٔ «مِلوین سیمن»*

زینب جعفرنژاد، دانش‌آموختهٔ دکتری دانشگاه حکیم سبزواری
حسن مجیدی، دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه حکیم سبزواری
مصطفی مهدوی‌آرا، استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه حکیم سبزواری
حجت‌الله فسنقری، استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه حکیم سبزواری

چکیده

ملوین سیمن از جامعه‌شناسانی است که در تحلیل مسألهٔ ازخودبیگانگی با رویکرد اجتماعی، نقش زیادی داشته و به آن ابعاد خاصی نیز داده است. بیگانگی اجتماعی، پدیده‌ای است که از دیرباز ملازم انسان بوده و در عصر جهانی شدن، بر شدت و عمق آن افزوده شده است؛ ولی هنوز پیچیده است و نیاز به مطالعاتی بیشتر دارد. این تحقیق با رویکرد اجتماعی و براساس روش توصیفی – تحلیلی، رمان «الکافره»، اثر علی بدر را بر اساس نظریهٔ ملوین سیمن و مهم‌ترین جنبه‌ها و نمودهای بیگانگی اجتماعی در سطح قهرمانان داستان مورد تحلیل قرار داده است؛ نتایج پژوهش نشان داد که مسألهٔ بیگانگی اجتماعی و مؤلّفه‌های پنج‌گانه سیمن؛ یعنی احساس بی‌قدرتی، بی‌معنایی، بی معیاری، انزوای اجتماعی و تنفر از خویشتن، به وضوح در رمان و در شخصیت‌های اصلی آن مشهود است؛ بیگانگی در رفتار آن‌ها و شیوه برخوردشان با مشکلات و شیوهٔ اتخاذ تصمیم‌هایشان به چشم می‌خورد که این مختص سوفیا، قهرمان داستان در عراق نیست، حتی آدریان که در لبنان بزرگ شده و به بلژیک پناهنده شده است نیز از این مشکل رنج می‌برد. ازخودبیگانگی آدریان، از نوع بی‌معنایی و انزواگرایی و ازخودبیگانگی سوفیا، از نوع بی‌قدرتی است.

کلمات کلیدی: "بیگانگی مکانی"، "الکافرة"، "علی بدر"، "ملوین سیمن".

---

* – تاریخ وصول :۱۳۹۹/۰۳/۲۶ تاریخ پذیرش نهایی: ۱۳۹۹/۰۷/۱۶
– پست الکترونیکی نویسنده مسئول : *H.majedi@hsu.ac.ir*
– شناسه دیجیتال(DOI):10.30479/lm.2020.13486.3051